جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الثنائيات المكانية المتضادة في شعر غازي القصيبي (دراسة تحليلية)

إعداد الباحثة

تساهم عبيد اللّه الحربي

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والفنون ـ جامعة حائل

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الثنائيات المكانية المتضادة في شعر غازي القصيبي
(دراسة تحليلية)

تساهم عبيد الله الحربي
قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والفنون ـ جامعة حائل
البريد الإلكتروني: tsahim.100@hotmail.com

الملخص

يحمل المكان وظيفة خاصة في النص الشعري، فهو يمثل الظرف الذي يحوي الحدث الإبداعي بمكوناته و شخوصه. و المكان يتشكل في النص الشعري في كيانين عامين: كيان رمزي يظل خاصا في ذاكرة التجربة الإبداعية عند صاحبها، وآخر يمثل إطارا فيزيائيا يقدم للمتلقي. و يزداد توظيف المكان في النص الشعري خصوصية عندما يتم وضع هذا المكون في ثنائيات متضادة كل طرف يعلق بمقابله، كما بدا في شعر غازي القصيبي، لتفوح تلك التجربة الشعرية في ظل هذه الثنائيات بطاقات دلالية خاصة، تتشبع بها حالة الحضور الخاص للمكان في ظل مواجهة بنقيضه سواء تعزيزا أو تصادما.

كلمات مفتاحية : التقابل؛ الثنائية؛ الشعر؛ القصيبي؛ المكان.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Contrasting Spatial Diodes in Ghazi Al-Qossabi Poetry (Analytical Study)

TsaHim Ubayd Allah Al-Harbi
Department of Arabic Language - College of Arts and Arts - University of Hail
Email: tsahim.100@hotmail.com

Abstract

The place holds a special function in the poetic text; it represents the envelope that contains the creative event with its components and characters. The place is formed in the poetic text in two general entities: a symbolic entity that remains private in the memory of the creative experience of its owner, and another that represents a physical framework presented to the recipient. And the employment of the place in the poetic text increases in particular when this component is placed in opposing binaries each party commenting in exchange for it, as it appeared in Ghazi Al-Qusaybi's poetry, for this poetic experience to unfold in light of these binaries special indicative cards, which are saturated with the special presence of the place in the face of its opposite Whether reinforcement or collision.

Keywords : Opposition, Duality, Poetry, al-Qusaybi, Place .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ

أجمع دارسو الأدب على أهمية توظيف المكان في العمل الأدبي، وقد ارتبطت دراسة المكان سابقاً بالتحليل الروائي؛ لكونه المجال الذي تجري فيه أحداث القصة، ولا بد للحدث من مكان يؤكده ليسيّر أحداثه، ولمّا كان الشعر العربي شعراً مكانياً في ارتباطه بزمان وبيئة كان لزاما على الدارس الأدبي أن يلتفت إليه ويهتم به.

وفي هذا البحث سلطت الضوء على زاوية الثنائيات المكانية المتضادة في شعر غازي القصيبي ، و دراسة الثنائيات المتضادة في الشعر وسيلة من الوسائل الفنية التي تحقق للقصيدة ايقاعها الدلالي ، وتفتح فضاءات جديدة ،مما يجعل العبارة الشعرية قابلة لقراءات متعددة في هذا الأسلوب(١)، والثنائيات في الشعر هي انعكاس للحياة ،فالحياة الطبيعية تقوم على الثنائيات المتضادة، مثل: الليل/النهار، السماء/الأرض ، وكذلك طبيعة الحياة البشرية تقوم على الثنائيات، مثل: رجل/امرأة ، وكذلك طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية، مثل: مقدس/ مدنس ،خير/شر ،وهذا الانعكاس مثّل ظاهرة بارزة في الشعر . والثنائيات المكانية التي تناولتها في البحث: (المكان العام/الخاص، المكان المقدس/ المدنس، المكان المدني/الريفي).

(١) ينظر: ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام، نوازاد شكر، مجلة التربية والعلم، م١٩،العدد ٢ ،نيسان ٢٠١٢ م، ص٦٠٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثنائيات المكان في شعر غازي القصيبي(١)

تمثل البنية المكانية سمة أساسية للنص، وربما جاءت هذه البنية على هيئة ثنائيات متضادة كـ (مغلق/مفتوح) ويجسد المكان المغلق في النصوص صورة مكانية مألوفة، مثل: الدار، ويتصف بصفات معينة، مثل " الألفة، الدفء، الأمان " ويتعارض هذا المكان المغلق مع المكان العام المفتوح، ومع سماته، ومنها: " الغربة، البرود، العدوانية "، وقد يفسر المكان المغلق والمفتوح تفسيرات معاكسة لما سبق(٢).

(١) شاعر سعودي ولد في الأحساء، عام ٢/٣/١٩٤٠م، وتوفي عام ١٥/٨/٢٠١٠، تولى العديد من المناصب المهمة:

- أستاذ مساعد في كلية التجارة بجامعة الملك سعود عام ١٩٦٥م، مستشار قانوني في وزارة الدفاع والطيران ووزارة المالية ومعهد الإدارة العامة، عميد كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود عام ١٩٧١م، مدير المؤسسة العامة للسكك الحديدية عام ١٩٧٣م، وزير الصناعة والكهرباء عام ١٩٦٧م، وزير الصحة عام ١٩٨٢م، سفير السعودية لدى البحرين عام ١٩٨٤م، سفير السعودية لدى بريطانيا عام ١٩٩٢م، وزير المياه والكهرباء عام ٢٠٠٣م، وزير العمل عام ٢٠٠٥م. له عدد من الروايات والقصص مثل: شقة الحرية، ودنسكو، وأبو شلاخ البرمائي، والعصفورية، وسعادة السفير، والجنية، والعودة سائحاً إلى كالفورنيا، وحكاية حب، ورجل جاء وذهب، وآخر أعماله كانت (أقصوصة ألزهايمر) التي نشرت بعد وفاته .

(٢) قاسم، سيزا ــ يوري لوتمان وآخرون _جماليات المكان _عيون المقالات، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ط ٢، ص٨١.

المكان العام / الخاص

المكان العام:

تجلى المكان العام في شعر القصيبي بصور منها (الفضاء، البحر، البر، الصحراء) وأكثر الشاعر من التعبير عن المكان الواسع بـ (أفق) ومن ذلك قوله:

ابق لي نجمة على الأفق تهدي
خطواتي إلى طريق الرجوع
يا سنيني تحيةٌ من شريدٍ
ضاع في القفر مثل باقي القطيعِ(١)

فالأفق هنا حقيقي، والشاعر يطلب من محبوبته أن تكون نجمةً عالقةً في الأفق؛ يهتدي بها عند عودته.

وهناك مواضع أخرى عبرت عن "الأفق" بطريقة خيالية وليست واقعية؛ مثل قوله في قصيدة "حيرة ":

ما لي إذا فكرّتُ فيكِ ..
سبحتُ في أفقِ بعيدِ
وتلفتّتْ عيناي .. تبحث عن
وجودكِ في وجودي

(١) المجموعة الشعرية، ص٦٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هي رحلةٌ عبر الخيال .. أعود

منها بالشرودِ(١)

أما الصحراء المكان العام؛ فهي رمز للضياع والعذاب، ويلاحظ ذلك في قوله:

ذكرتُ حبّكِ .. والصحراء تعبث بي

وللزوابع عصفٌ ملء أجوائي

فتعبير الشاعر عن الصحراء في هذا البيت مليء بالألم؛ فهي تعبث به، وأجواؤها غير مستقرة، ومليئة بالزوابع، يقول:

لا ! لن أعود من الصحراء ملتفعاً

بالخوفِ .. أعثر في أذيال ظلماءِ

سأعبر الجمر .. أجتاز الوهاد إلى

نبعٍ على قمةٍ في الأفق شمّاءِ (٢)

فالشاعر يرفض الاستسلام، ويحاول أن يعبر الجمر، ويتحدى الصعوبات؛ حتى يحقق ما يصبو إليه من المجد والرفعة. وفي بعض الأحيان لا يهرب من صعوبات حياته (الصحراء)فيطلب من (الواحة الخضراء) التي تمثل الحياة القديمة أن تنقذه من واقعه، يقول:

---

(١) المجموعة الشعرية، ص١٢٤.

(٢) نفسه، ص٢٠١.

خذيني إليكِ

ولا تتركيني ..

أعود إلى القفر والغولِ ..

لا تتركيني ..

أفتش عن منبع في الصخورْ

عن الورد في الرملِ ..(١)

فالشاعر جمع بين المتضادات المفتوحة (الصحراء/الواحة الخضراء) وما أروع الصورة التي قدمها لتفانيه، وإصراره في البحث عن الأمل؛ في جنبات واقعه المتجهم.

والجمع بين المتضادات المكانية المفتوحة، يطالعنا في موضع آخر في قوله:

يا سرابي الحبيب ! طال بي السيرُ

وحيدا ... وضقتُ بالصحراءِ

حنّ عمري الشقيّ للواحة الخضراءِ

للأغنيات ... للأنداءِ(٢)

(١) المجموعة الشعرية، ص٥١٨،٥١٩.

(٢) نفسه، ص١٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالصحراء المكان الواسع ينم عن الجدب والشقاء، وقد ضاق الشاعر بها بقوله (ضقتُ بالصحراء) ولم يقل ضاقت بي، والأصل أن يقول ذلك، ومنه قوله تعالى في قصة الثلاثة المخلفين: (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت).

أما الواحة الخضراء فهي دلالة على الراحة والسعادة والطمأنينة؛ التي يحن الشاعر لها.

وللبحر عند القصيبي أهمية خاصة؛ لأنه عاش عند البحر مرحلة طفولته السعيدة، والبحر عنده ليس له دلالة ثابتة؛ فهو متقلب يقول:

في البحر دنيا نرى بعضها ..
وتغيب الجبال .. تغيب المُروجْ .
وفي البحر دفٌ وبردٌ ..
وفيه صراعٌ وريحٌ ..
وفيه المواني ترقب صابرةً سندبادْ
ومنذ الطفولة كنتُ أحبُ البِحارْ(١)

فلا نكاد نقرأ كتاباً أو ديواناً للقصيبي؛ إلا ونلحظ فيه حبه الشديد للبحرين، وتعلقه في بحرها وشواطئها ومنازلها؛ فهو يعشق البحر منذ طفولته التي عاشها في البحرين، ولكن هذا العشق لا يعني أن البحر مكانٌ للاستقرار والأمان؛ فهو مكان يتسع للضدين الدفء/ البرد، الحنان /القسوة. والأماكن المفتوحة العامة تتعدد في بعض نصوص الشاعر، من ذلك ما

(١) المجموعة الشعرية، ص٥٥١.

نظمه في خطابه لوطنه؛ حيث يرى أن البداية منه والنهاية إليه، ومن هـذه الأماكن: (الشواطئ، البحيرات، المطارات، البحر، البر)، يقول:

كيف أسافر عنكِ ؟

...

وكلّ الشواطئ .. كل البُحيراتِ .

كلّ المطاراتِ .. تعرضُ عني ..

وتسأل عنكِ

ويعبس في وجهي البحر ..

حين يراني بدونكِ ..

يعبس في وجهيَ البرُّ

حين يراني بدونكِ ..(١)

ومن الأماكن العامة أيضاً (الحي) بحسبانه مكاناً يضم من يريد العيش فيه؛ فالحي في نظر الشاعر كان جميلاً وهادئاً، ولكنه تغيّر بعـد أن أصـابه التطور والتمدين، يقول:

غبتُ في الحي أنبش الأمس نبشاً

وهو في عالم الضباب رهينُ

أيها الحيُّ ! غيرتنا الليالي

فكلانا بعد النقاء هجينُ

(١) نفسه، ص٧٢٦،٧٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

....

غيّرت لمسةُ التطور حيّي

فهو شكل فخمٌ ولا مضمونُ

أيها الحيُّ ! إن عتبتُ فقل لي

" داس قلبي .. وداسك التمدينُ "(١)

وحديث الشاعر عن التمدين وأثره؛ يدل على ميله للحياة المتواضعة التي عاشها قبل التطور، وسنلاحظ هذه المحبة للريف في ثنائيات المدني/ الريفي التي سأتطرق لها لاحقاً.

وربما تحول المكان الخاص في تعبير الشاعر إلى عام، كقوله في قصيدته "بنت الرياض"(٢):

فما تصبّاك إلاّ الطهر .. يا امرأةً

تجسّد الطهر فيها كيفما شاءَ

....

المجدُ عشقكِ .. ما أحلى زفافكما

وبورك المنزلُ المكتّظ أبناءَ

وظف القصيبي لفظ " المنزل " وقد رمز به لجامعة الملك سعود، وأبناء هذا المنزل هم طلاب هذه الجامعة.

---

(١) المجموعة الشعرية، ص٦٨٨.

(٢) نفسه، ص٧١٩.

المكان الخاص :

هو خلاف العام، وهو المكان الذي يتسم بالخصوصية كالبيت، وهو عالم الإنسان الأول، والقصيبي لم ينس الأيام التي عاشها في البحرين؛ فهي بيت الطفولة، يقول في سيرة شعرية: " دعتني وزارة الإعلام البحرينية لإحياء أمسية شعرية في البحرين .. شعرت وقتها أن الماضي يعود إليّ بكل أوجاعه وأفراحه، الأزقة، الشخصيات التي تسكنها، تجارب الحب البريء الأول، أيام اللهو، الصيد في البحر)(١)

وذكرياتنا عن البيوت التي سكنّاها نعيشها مرة أخرى كحلم يقظة؛ لأن هذه البيوت تعيش معنا طيلة الحياة(٢)، وهذا ما نجده عند القصيبي حين تغنى ببيت الطفولة:

يا بيتي ! يا بيتي الأولْ !

هل تذكر خطواتي في الليلْ ؟(٣)

ويعود في موضع آخر متذكرا مخدع الطفولة وحنان الأم؛ هذا المكان الخاص الذي ينعم بالهدوء فيقول:

أمّاه ! لن أنسى وداعكِ

إذْ أتيتِ لمخدعي

وهمستِ بي بين التأوّه ..

---

(١) / سيرة شعرية، ص١١٩.

(٢) / جماليات المكان، ص٣٧.

(٣) / البراعم، ص١٧١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والدموعِ الهُمّعِ

أبُنيّ ! إن تذهبْ ..

فطيفك سوف تتركه معي !(١)

والمكان الخاص ليس على وتيرة واحدة؛ فمسكن الشخص قد يكون قصراً أو بيتاً، يقول القصيبي:

وسرت مع الدرب أصرخ في كل عابرْ

" أجبني – بربِّك – ماذا تريدْ ؟ "

فمن قائلٍ " أنا أبغي الثراءْ

وقصراً ينام بحضن السماءْ "

ومن قائلٍ " أنا أبغي الرغيفْ

ففي البيت طفلي يكاد يموتْ "

وآخر يهتفُ بي في جنونْ:

" أريد النساءْ "

وعدتْ إلى البيت أحمل عبء الغباءْ (٢).

القصر والبيت كلاهما مكانٌ خاص مغلق، ولكن الاختلاف في النوع؛ فالقصر للأغنياء، والبيت لمن سواهم؛ فالشاعر يطرح مسألة تفاوت الناس في الأحلام والرغبات؛ فمنهم من يرغب بقصور وثراء، ومنهم من

(١) نفسه، ص٧٢.

(٢) المجموعة الشعرية، ص٢٠٩.

يرغب بلقمة عيش تقيم أود أطفاله، ومنهم من يرغب بالملـذات، وينسـب شاعرنا لنفسه بيتاً وليس قصراً، وهذا يدل على تواضعه، يقول: (وعدتْ إلى البيت)

ومما يحمل دلالة المسكن الخاص (الدار) قوله:

مررت اليومَ قُرب الدارْ

تفرق مجمع السُمارْ

فلا أسمع إلا الصمت .. يسترسل في الأوكارْ(١)

الدار سكن الإنسان، والشاعر _ في نصه _ شبهها بمسكن الطيـور (الأوكار) بسبب الصمت الذي خيم عليها، وفي موضع آخـر شـبه نفسـه بالطائر حين يجد الأمان في عشه، يقول:

اذهبي قبل أن نغيب سوياً

في الضباب المعطر الملعونِ

قبل أن أرتمي كطيرٍ غريبٍ

وَجد العشَّ في اخضرار العيونِ(٢)

فمساكن الطيور (العش والوكر) تدل على الراحة والهدوء، وتـرتبط بصورة البيت المتواضع، وحين ننتقل من صورة العش إلى صورة البيت أو العكس؛ فإن الجو الذي يتحقق هو جو البساطة(٣).

---

(١) المجموعة الشعرية، ص٧٩٩.

(٢) المجموعة الشعرية، ص٤٩٤.

(٣) جماليات المكان، ص١٠٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المكان المقدس / المدنس:

المكان المقدس:

للمآذن في شعر غازي القصيبي أهمية كبيرة؛ فنجده في معظم المواضع يربط بينها وبين النور؛ فهي مصدر لإضاءة الكون؛ بإعلان توحيد الله، وإقامة شعيرة الصلاة يقول في قصيدته " جزيرة اللؤلؤ ":

المرفأ الغافي وهمسته
يهنئ بالسلامة

ونداء مئذنة مضوّأة
ترفرف كالحمامة

يا موطني ! ذا زورقي
أوفى عليك فخذ زمامه(١)

ويوظف المئذنة في قصيدة " رسالة إلى أمي " قائلاً:

قد أقبل، يا ولدي، رمضانْ
فالشارع تغمره الألحانْ
وأضيئتْ مئذنة المسجد
فالحيُّ بُحيرةُ أضواءِ

(١) المجموعة الشعرية، ص١٥.

والبيت ضجيج لا يهدأ

ولحونٌ ينشدها الصبية (١)

في هذه المقطوعة تنوع في البنى المكانية التي سردها للاحتفال بشهر رمضان؛ فابتدأ بالمكان العام وهو الشارع، ثم انتقل إلى المكان المقدس وهو المسجد؛ مركزاً على المئذنة التي أُضيئت احتفالا بهذا الشهر، ثم عاد إلى مكان عام أوسع (الحي) فقد أصبح بحيرة من الأضواء التي زُين بها المكان، وأخيراً وصف مكانه الخاص (البيت) وطريقة احتفاله بهذه المناسبة الدينية ؛فاجتمع في أبياته هذه مكان مقدس، وزمان مقدس .

و(المحراب) من الأماكن المقدسة، ويكون في صدر المسجد، قال تعالى في قصة السيدة مريم: ((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زكريَّا المِحرابَ وجَدَ عِندهَا رِزقاً))

وفي حديث القصيبي عن تجربة حبه يقول:

كيف أسلمتُ قيادي للمنى ؟

وحسبتُ الحب فردوس الدنى ؟

كيف أهرقتُ على محرابهِ

صبوتي الأولى .. وشوقي الأرعنا ؟(٢)

(١) البراعم، ص٧٩.

(٢) المجموعة الشعرية، ص١٥٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالشاعر كان يحسب الحب فردوساً، والفردوس أعلى درجات الجنـــة، ثم أتبع حديثه عن الفردوس بحديثه عن المحراب، فالشاعر جمع بين هذين المكانين المقدسين؛ ليمنح تجربته شيئا من السمو والقدسية.

المعبد: هو مكان مقدس، ومهما كانت درجة عدم الطهارة؛ فإن العالم مطهر باستمرار بقداسة المعابد، كما أن قداسة المعبد بمنجاة عن كل فســاد أرضي(١).

والمعبد عند القصيبي رمز للطهر والسكينة، يقول في قصيدته " مات شاعر ":

كفنّوه بالأزاهير وبالورد الندّيْ

واقبسوا آخر لمحٍ

شعّ في الوجه الرضّيْ

ادفنوه في رحاب المعبد المهجور ..

في ظل السكينةْ

إنه قد ملّ ضوضاء المدينةْ(٢)

بدأ الشاعر أبياته بطلب (كفنوه ثم ادفنوه) ولم يطلب منهم دفنه فـــي قبر كما جرت العادة؛ بل طلب دفنه في رحاب المعبد المهجور؛ فهـــو مكـــان أمن وسكينة وإن كان مهجورا، وخير من ضوضاء المدينة.

---

(١) ميرسيا الياد _المقدس والمدنس_ ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشـــق، ١٩٨٨م، ط١، ص٥١،٥٠.

(٢) المجموعة الشعرية، ص١١٨.

في المقطع السابق ربط الشاعر بين المعبد والسكينة، وفي مقطع آخر يربط بين المكان المقدس (المعبد) والطهر، كما في قوله في قصيدة " كلانا":

كلانا ذاق ما شاء
الهوى من نبعه المرّ

وطاف بمعبد الطهرِ
وغادره .. بلا طهرِ(١)

والزمان لا يقل أهمية عن المكان عند الإنسان المتدين(٢)، يقول في قصيدة " عودة رمضان ":

القدسُ بكاءْ
روحٌ تنبض فيها الأشجانْ
عينٌ تتمزّقُ .. والمسجدْ
يتململُ في أسرِ الكفّارْ
القدسُ رجاءْ
...
ويعود العاشر من رمضانْ
ويثور نفيرْ

(١) المجموعة الشعرية، ص٦٣.
(٢) ينظر: المقدس والمدنس، ص٥٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويضج المسجد بالتكبيرْ

وتضيء منارته البيضاءْ

القدس مدينة مهمة عند الشاعر، ولذلك يغضب لها، ويريد حمايتها، ويستثير همم العرب؛ لتخليصها ممن يحاول تدنيس مقدساتها (المسجد يتململ في أسر الكفار) ثم ينقل الشاعر مشهد عودة القصف والغارات على هذه المدينة، وضجيج المسجد بالتكبير لإثارة الحماس.

المكان المدنس : هو خلاف المقدس، وقد لا يكون مدنسا في أصله، وإنما دنسته أفعال البشر.

ومن نماذج توظيف الشاعر المكان المدنس، ما جاء في قصيدة (شعرنا موتنا): يقول فيها:

قل لنا كلمتينْ

أيّ موت هو الشعرُ ..

في عالمٍ يئدُ الأبرياءْ

أيّ شعر هو الموتُ(١)

المكان هنا (العالم) وهو في الأصل ليس مدنسا، ولكن دنسه الفعل الجاهلي (الوأد) والشاعر يشبه ظاهرة موت الشعر بالوأد، قال تعالى: ((وَإِذَا

(١) المجموعة الشعرية، ص٧٧٤.

المَوْؤودَةُ سُئِلَتْ * بِأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)) التي إذا سُئلت بأي ذنبٍ قتلت حارت ولم تدر جواباً(١).

والحوانيت من الأماكن المدنسة، ومن ذلك ما جاء في قول القصـــيبي في قصيدة " عنك ومنك ":

خلف زجاج الحوانيت ..

في كل سطرٍ أراكِ ..

كأن جميع السطور بكل الجرائدِ

عنكِ(٢)

ومن المعلوم أن الحوانيت مكان مدنس؛ فهو مكان للبيع ، وقد غلـــب على حانوت الخمار ، وكانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت(٣) .

وقد استخدم هذه الدلالة المدنسة في لفظ آخر (القاعة) فيقول:

قبلّيه .. ذوّي شفتيه

كل ما عندك من خمرٍ وطيبِ

...

هامتْ القاعةُ في لحنٍ علَى

(١) رياض كامل، يوسف جبارين_ شكيب جهشان إضاءات على مسيرته وأدبـــه _ دار رايـــة للنشر، ٢٠١٣م، ط١، ص٤.

(٢) المجموعة الشعرية، ص٧٢٧.

(٣) لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقعه .. تصحو الصباباتُ الدفينةْ

فاشربي اللحن وقوديه إلى

قبلةٍ يمنحها اللحن رنينه(١)

وليس على كل حال تكون القاعة مكاناً مدنساً، لكن القصيبي هُنا أتى بدلالات أفادت تدنيس المكان (ذوي شفتيه، خمر وطيب، الصبابات الدفينة، اشربي اللحن) فهذه إشارات إلى أنه مكان مجون وشرب. أما النهر فهو من دلالات الطبيعة الجميلة، كما أنه مصدر رزق وتطور للبلاد، فمن المحال أن ننظر إلى النهر الطبيعي على أنه مدنس؛ لكنه يصنف هنا في قصيدة القصيبي " نهر من الدم " في قائمة الأماكن المدنسه؛ فالشاعر وظف النهر على خلاف معناه المألوف، وقد رمز به إلى كثرة الدم المراق؛ بسبب الوحشية والقتل؛ فصار هذا المكان مدنساً. فيقول:

نهرٌ من الدم .. فامشي فيه .. واغتسلي

من الجنابة .. يا أنثىً بلا خجلِ

تأملي جثثَ الأطفالِ .. وانفعلي !

وطالعي جثث الأشياخِ .. واشتعلي !(٢)

نستطيع أن نحدد المقدس والمدنس على ضوء ثقافتنا الدينية والاجتماعية.

---

(١) المجموعة الشعرية، ص٢٤٥،٢٤٤.

(٢) المجموعة الشعرية، ص٧٤٩.

المكان المدني / الريفي:

المكان المدني:

وفيه يتحدث الشاعر عن مدينة حقيقة كـ " بور سعيد " ويذكر تفاصيل ما جرى لها، ويمجد صمودها.

فيقول في قصيدة " مهد الإباء " :

يا " بورسعيد " ! أفي الوجود مدينةٌ
صمدتْ صمودكِ .. والحمام مُخيّمُ
الأفق أحمرُ .. بالدماء مخضبٌ
والكون أربدُ .. بالغبار مُثّلمُ
والبحرُ بركانٌ يُجن أوارهُ
والجوُّ نيرانٌ تشبُّ وتُضرمُ
والهولُ يجتاح الربوعَ .. فمنزلٌ
متهالكٌ يهوي .. وآخر يُهدَمُ(١)

في هذا النص يمجد القصيبي صمود المدينة الحقيقة بورسعيد، ولا تقف التعبيرات المكانية في هذا النص عند المدينة، فقد جاءت التعبيرات المكانية هُنا على نوعين منها العام كـ(الأفق، الكون، البحر)، والخاص (منزلٌ متهالك)

(١) المجموعة الشعرية، ص٦٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد لا يذكر الشاعر المدينة نفسها، بل يذكر جزءاً منها كـ (حـي، شارع)، يقول في حديثه عن الشباب الذي رحل:

وفي الحيّ جارتنا تختفي

وراء الستارْ

تخاف تفاجئها أمُها .

وأنساب كيلا يراني أحدّ

وأرنو إليها

وترنو إليّ

وتبقى حكايتنا نظرات(١)

الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة؛ فهو الخيط الفاصل بين عـالمين: عالم السر وعالم الجهر؛ إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري، ويبدأ عالمهم العلني، حيث تنكشف الأسرار، وتعلن الأعماق عن خفاياها(٢)، يقول القصيبي:

شارع الحمراءِ خانته القبائلْ

ونأت عنه القوافلْ

وعلى الروشيه طفلٌ يتضور

وعلى الأفق، ودون الفجرِ،

(١) المجموعة الشعرية، ص٦٦.

(٢) صورة المكان ودلالاته في شعر واسيني والأعرج، ص١١٣.

تمتد جحافلْ(١)

ونظرة القصيبي للمدينة سوداوية؛ فهو يميل إلى القرية في كثير من النصوص، ومنها قوله:

وسرنا معاً

وحدثني عن أماسي الحنين

وعن بيته وكروم العنب

وما في الحديقة من ياسمين

وكيف يطل عليها القمر

وحدثته عن زمان الصِغرْ

وعن إخوتي .. وليالي السمرْ

وكيف طوت كل هذا المدينة

....

وعند الظهيرة

سمعنا خطى مقبلاتٍ كثيرة

وجمعاً غفيراً من الضائعينْ

يسبون ليل المدينةْ

(١) نفسه، ص١١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسارت مع الدرب قافلة الضائعينْ(١)

والشاعر كما يبدو من النص لا يرغب كثيرا بتيار التمدن؛ فقد وصف المدينة بصفات الضياع، والتشرد، وقتل الذكريات الجميلة، يقول في موضع آخر:

وهذي الشقيّة (مثل حياتي حين تغيبين ..
مثل المدينة بعد الظلام) اختفتْ .. فخذيني
إلى بركة النور أغسلُ فيها بقايا التشرد بين الموانئ ..
أغسلُ فيها غبار الضياع الرخيصِ ..
خذيني إلى النبع يغفر للظامئين ليالي السهاد
المشبوبة بالأمنياتِ الكسيرةِ .. لا تتركيني أعود
فإنّي أخاف الظلامَ ...
وما في الظلامْ(٢)

والمدينة في نظر القصيبي مكان غير محبب؛ يود الرحلة عنه، يقول:

لم لا يدفن أشلاء أمانيه الحزينة ؟
لم لا يرحل عن هذي المدينة ؟
وإذا ما أصبح الفجر كئيباً
كالمساءْ

(١) المجموعة الشعرية، ص٧٥.
(٢) نفسه، ص٨٠٥.

وإذا ما ضاقت الدنيا كما ضاقت

قبور الميتينْ

أيّ فرق بين أن يحيا شقيّاً أو يموتْ ؟(١)

كما يرى أن دروب المدينة متشعبة ومتغيرة، ومساءها جحيم ممتـــد، يقول:

ويحك يا شريدْ

لن تنتهي الدروبْ

فهذه المدينهْ

في كل يوم تلدُ الدروبْ

لن ينتهي المساءْ

مساؤهم هنا من الجحيم .. والجحيمْ

مساؤه ألفُ مساءْ

لن ينتهي الشتاءْ

وسوف تمضي أنتَ قبل مولدِ الربيعْ(٢)

وقد لاحظت حين تتبعت المدينة في شعر القصيبي أنه غالباً ما يـــربط بين المدينة والليل، ولليل دلالات منها الظلام والخوف.

(١) المجموعة الشعرية، ص٨٣.

(٢) البراعم، ص٢١٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المكان الريفي

ذكر القصيبي في شعره العديد من الملامح الريفية، وأهل الريف يتخذون من الخيام والأكواخ سكناً لهم، والقصيبي رسم هذه الأماكن في شعره بإعجاب، فيقول:

تعاليْ دقائق نحلمُ فيها
بنافورةٍ من رذاذِ القمرْ

بأرجوحةٍ عُلّقتْ في النجوم
بأسطورةٍ من حديثِ المطرْ

بكوخٍ على الغيمِ .. جدرانهُ
ظِلالٌ .. وأبوابُه من زَهرْ

بخيمة عطرٍ .. يعبّ الغروب
شذاها .. ويكسرُ فيها السَحْر

صبغ الشاعر المكان الريفي بصبغة جميلة، وتمنى أن يعيش في هذا العالم، يقول في موقف آخر:

تعالوا ! تعالوا !
رجالَ العرَبْ !
هنا نخلةٌ أُثقلتْ بالرُطَبْ
هنا خيمةٌ ظلّها من ذهبْ

هنا أقحوانَهْ

أأحلمُ ؟ أم ذاك صوتُ الرُغاءْ ؟

ألا أيها الركبُ ! لا تتعجل ! فديتُك !(١)

...

فالشاعر جعل للخيمة ظلاً من ذهب، وهذا دليل على محبته لها، وتفضيله المكان الريفي على المكان المدني .و يتذكر القصيبي زمن الطفولة بشوق، ويتلهف للعودة إلى هذا الزمان، فيقول في قصيدة "نفّر فديتكِ" :

نفر – فديتكِ ! – نحو الطفولةِ

مما يقولون عنّي

(لأني أغنّي

لأني إلى أن أموتَ أغني)

نفّر على متن أرجوحتينْ

ألّم حرير القوافي وأبني

لعينيك من بعضهِ خيمتين(٢)

في هذا النص رغب الشاعر بالفرار إلى الماضي؛ الذي تعد الخيمة من أهم ملامحه، وموقفه هذا يناقض موقفه من المدينة التي تمنى الرحيل عنها.

(١) المجموعة الشعرية، ص٧٥٧.

(٢) المجموعة الشعرية، ص٧٠٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة:

الشعر مرآة للحياة، وأحداث الحياة الطبيعة لا بد أن تحدث في إطـــار مكاني محدد، وهذا ينعكس في شعر الشاعر سواء عرّج على هـــذا المكـــان بالتفصيل أم أنه مر عليه مرورًا عابرا، أوقد يرمز له برمز يدلنا على المكان بدون ذكره. وقد وقفت على بعض الأماكن في شعر القصيبي بهذا البحث.

ولأن الشعر مرآة الحياة نجده يعكس الثنائيات المتضادة الموجودة في الحياة. وقفت على بعض هذه المتضادات في بحثي كالمكان المقدس/المدنس وهذه الأماكن اكتسبت صفاتها من الحياة الدينية أو الاجتماعية فحين نسمع (المسجد) نعلم أنه مكان مقدس اكتسب قداسته من مفاهيمنا الدينية، وذكرت من الأمثلة المدنسة التي وردت في شعر القصيبي (الحوانتيت) وهذا المكان اكتسب صفة الدناسة من المفاهيم الاجتماعية بالإضافة للدينية.

وفي الختام نجد أن التعبيرات المكانية في شـــعر القصـــيبي تعكـــس نظرته الخاصة، فنجده يفضل المكان الريفي على المكان المدني.

المراجع:

١_القصيبي، غازي _المجموعة الشعرية الكاملة – دار المسيرة .

٢_القصيبي، غازي_ ديوان البراعم_ دار القمرين، الرياض، ط١،

٣_القصيبي، غازي _سيرة شعرية_ مطبوعات تهامة، جدة، ١٤٢٤ه، ط١،

٤_ابن منظور – لسان العرب – دار صادر بيروت ، ج ٣.

٥_رياض كامل، يوسف جبارين_ شكيب جهشان إضاءات على مسيرته وأدبه _ دار راية للنشر، ٢٠١٣م، ط١.

٦_قاسم، سيزا ــ يوري لوتمان وآخرون _جماليات المكان _عيون المقالات، الدار البيضاء ،١٩٨٨، ط ٢.

٧_ميرسيا الياد _المقدس والمدنس_ ترجمة عبدالهادي عباس، دار دمشق، ١٩٨٨م، ط١.

٨_نوازاد شكر _ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام _ مجلة التربية والعلم، م١٩ ،العدد ٢ ،نيسان ٢٠١٢ م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	١٩٣٧
٢.	Abstract	١٩٣٨
٣.	مُقَدِّمَةٌ	١٩٣٩
٤.	ثنائيات المكان في شعر غازي القصيبي	١٩٤٠
٥.	المكان العام / الخاص	١٩٤١
٦.	المكان المقدس / المدنس:	١٩٥٠
٧.	المكان المدني / الريفي:	١٩٥٧
٨.	الخاتمة:	١٩٦٤
٩.	المراجع:	١٩٦٥
١٠.	فهرس الموضوعات	١٩٦٦

تم بحمد الله